إغراء الأعالي
رسوم :
زكرياء التمالح
تأليف :
محمد سعيد الريحاني

هذا العمل أُنجز بدعم من وزارة الثقافة

التصميم الفني : زكرياء التمالح

صورة الغلاف : زكرياء التمالح

ISBN : 978-9954-39-495-3

Dépôt Légal : 2017MO0422

Imprimerie : 4print

ما أعظم الشمس!

أتخيل وكأننا جميعاً على ظهر سفينة تائهة في الأفق أنهكتها الرياح وتقاذفتها الأمواج ونحن على متنها نخبط خبط عشواء على أمل أن يلوح شعاع منارتنا و نشرق مع شمسنا فنزداد صخباً.

هي شمس واحدة في السماء، تغدو وتروح، تغيب وتشرق، تجري قدماً فنتبعها لاهثين من دون توقف أو تراجع، معها، تشرق أحلامنا وتغيب ذكرياتنا. إنها الشمس، مجبرة أعتى المتشائمين على التشبث بخيط أشعتها الذي قد يحيي فيهم دوافع للاستمرار.

لكُلٍّ
سَمَاؤه

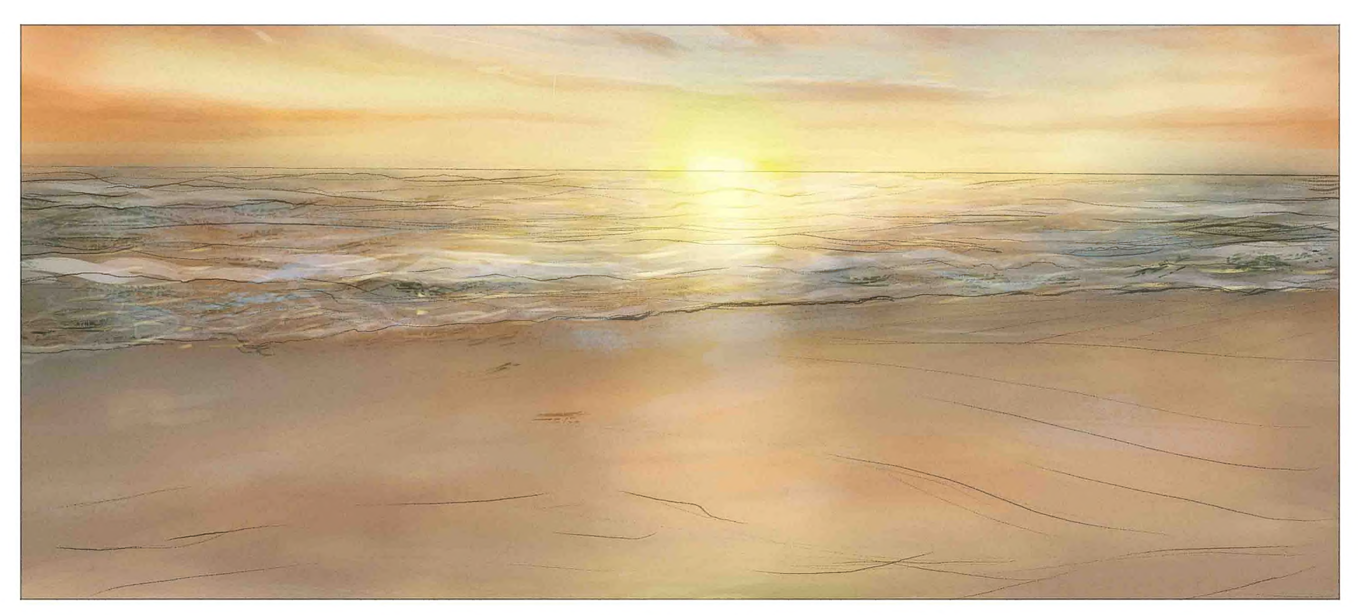

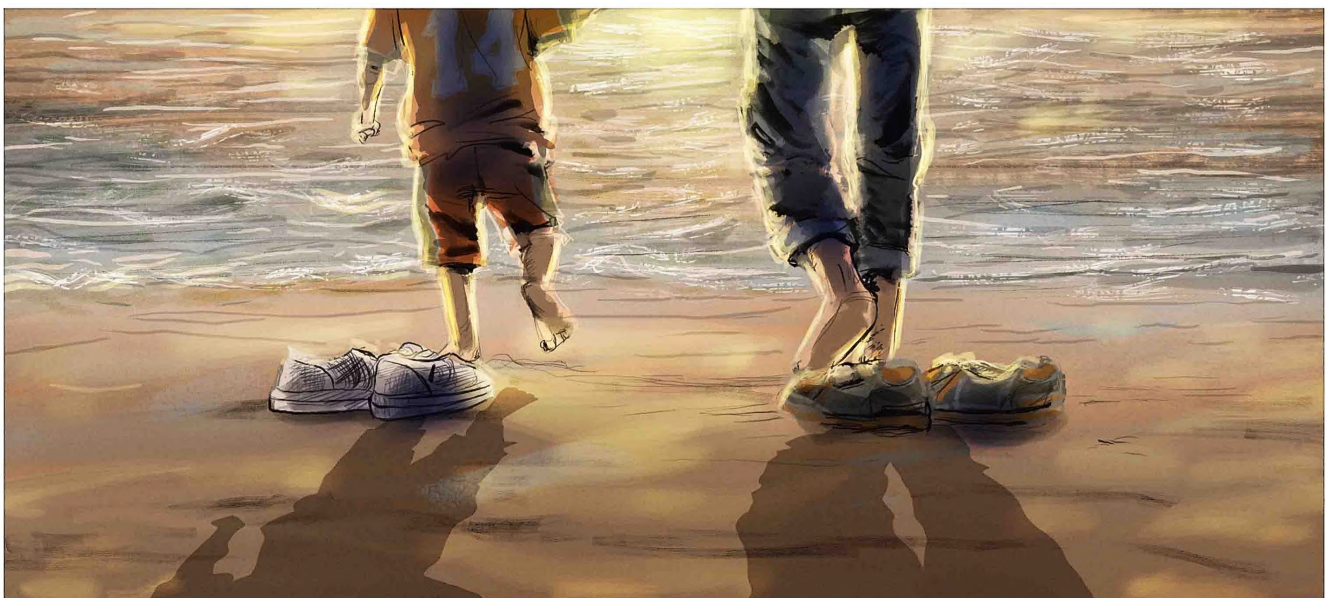

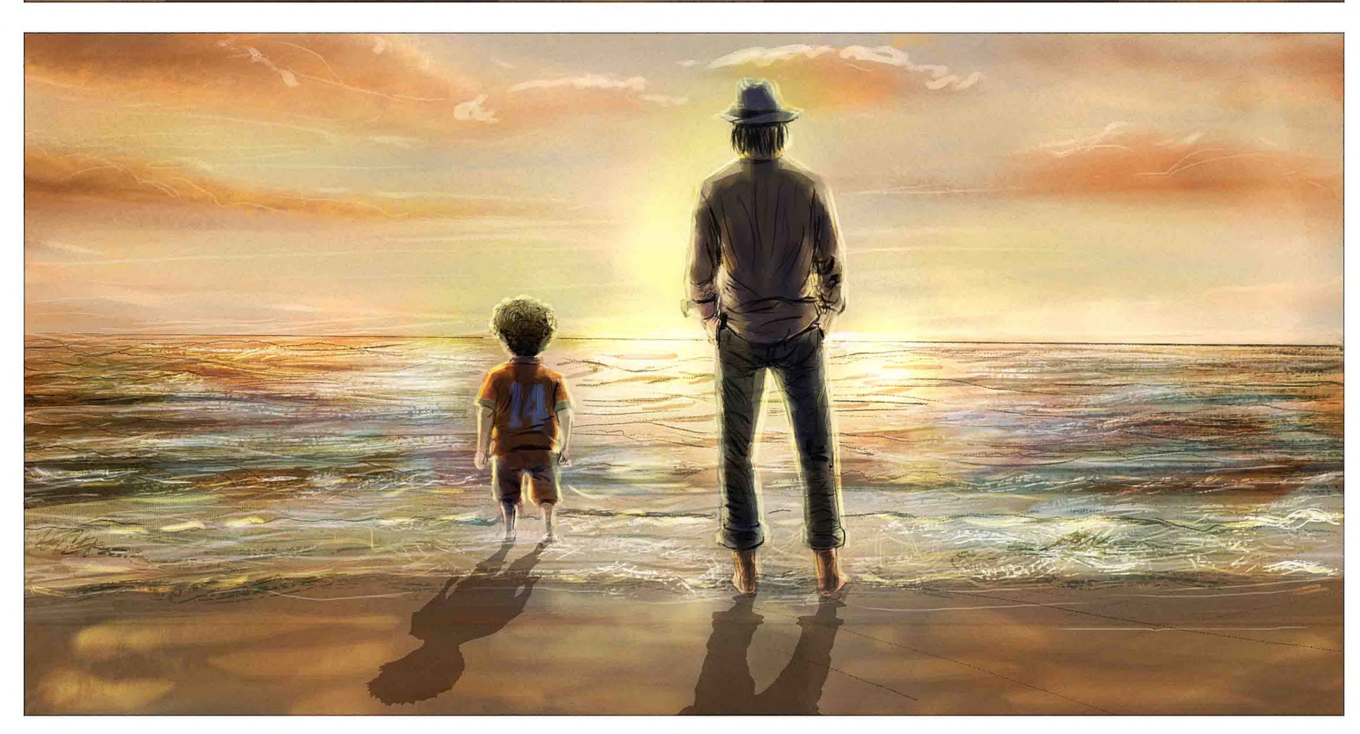

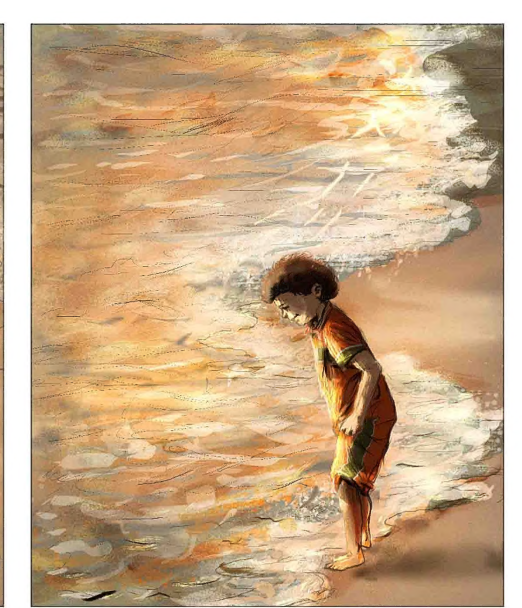

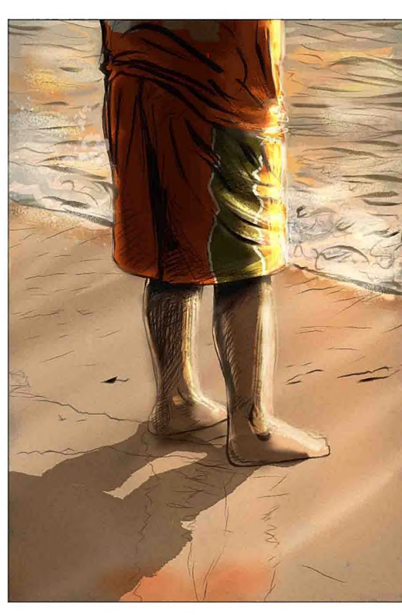

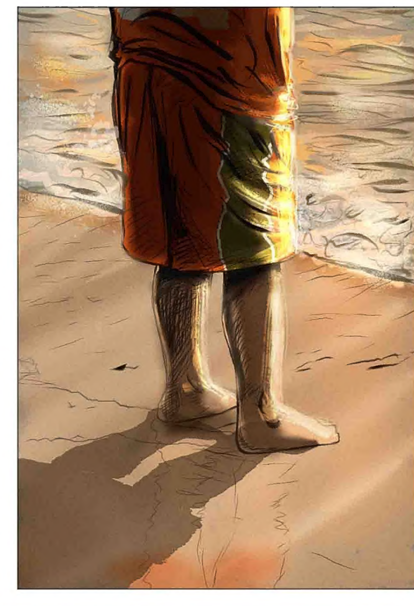

أبي، إذن هنا
تعيش القروش ؟

نعم، ياعزيزي، ولكن بعيدا من هنا.
هي تفضل المياه الدافئة في أعالي البحار.

هي قوية!

نعم، يا بني
القرش هو ملك
البحر ...

وهنا في البر،
من ملك البر ؟

السبع، يا ولدي. السبع
هو ملك البر و الغاب.

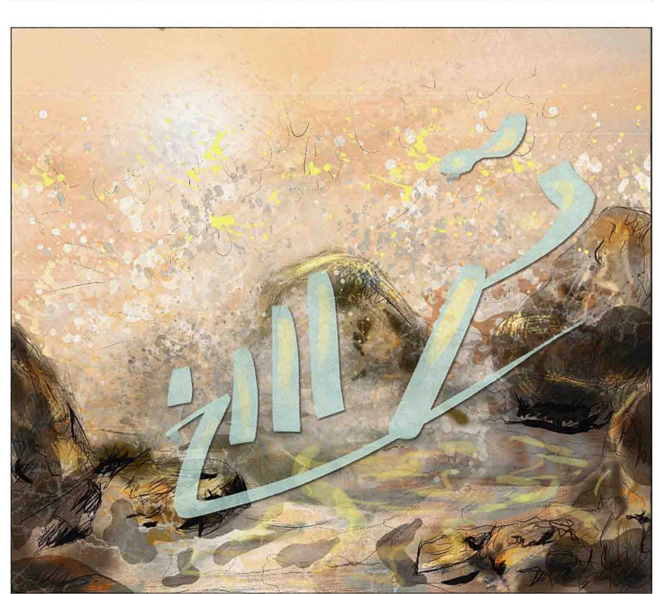

ومن الأقوى،
السبع أم القرش؟

وكيف لأحدهما أن يتفوق
على الآخر وكل يعيش في
مملكته؟ السبع في الغاب
والقرش في البحر.

وحتى إذا ما حاول الواحد منهما أن
يغير على الآخر مات اختناقا إما على
التراب، إذا كان قرشا، أو داخل الماء،
إذا كان سبعا.

الجبال و الهضاب و الوديان و الأغوار و الأشجار و الأحجار و النباتات و الضياء و الظلام...
إن الحياة هنا، في البر، تقابلها حياة موازية في البحر، و حيوانات البر تقابلها كذلك أسماك في البحر.

و هل تتسع كل هذه التضاريس و الأحياء و الأشياء داخل البحر؟
ما يوجد في البحر أكبر حجما و أكثر تنوعا مما يوجد في البر.

و لكن سطح البحر سطح هادئ بلا نتوءات و لا رؤوس تطل و لا ذيول تخبط في الماء!!!

لا يغرنك السطح، يا ولدي.

هل ترى تلك القبة
الزرقاء الهادئة؟

السماء، يا أبي؟
تلك سماؤنا و سماء
السباع. أما سطح البحر
فهو سماء الأسماك
و القروش.
إذا خرج البحريون عن سطح
البحر، سمائهم، اختنقوا
و ماتوا. و إذا نحن البريون
أطللنا برؤوسنا خارج
سمائنا، احترقنا و متنا!

لكل، يا ولدي، سماؤه. هناك أشكال من العوالم
و أشكال من المخلوقات و أشكال من طرق التفكير
و أشكال من سبل العيش... هناك اختلافات لانهائية
في هذه الحياة. و هذه الاختلافات هي سر الحياة الكبير
و نبع غناها الأكبر. و لولاها ما كنا لنستمتع بهذه
اللحظة و بهذه الوقفة على هذا الجمال الذي
سيجعلنا نعود للبيت أكثر تجددا و أكثر سعادة.

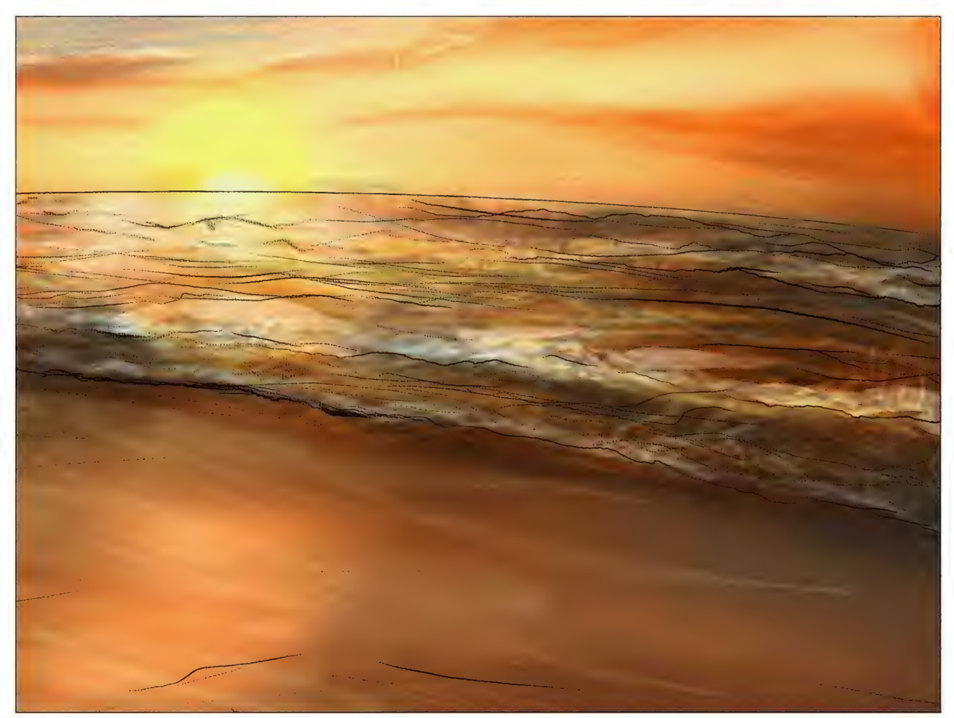

الحياة رائعة، يا أبي!

أحلم أن أغوص كالقرش
في أعماق البحار و المحيطات.
حتماً ستكون لأهل البحر
شمس.

أما أنا فأحلم أن أغوص
كالصقر في آفاق السماء.
أصول و أجول كما يحلو
لي...

رائعة هي الحياة من عل.
روعة مطلقة لا يفسدها
غير فعائل البشر.

و ما أدراك؟
هل سبق لك أن
كنت طائراً؟.

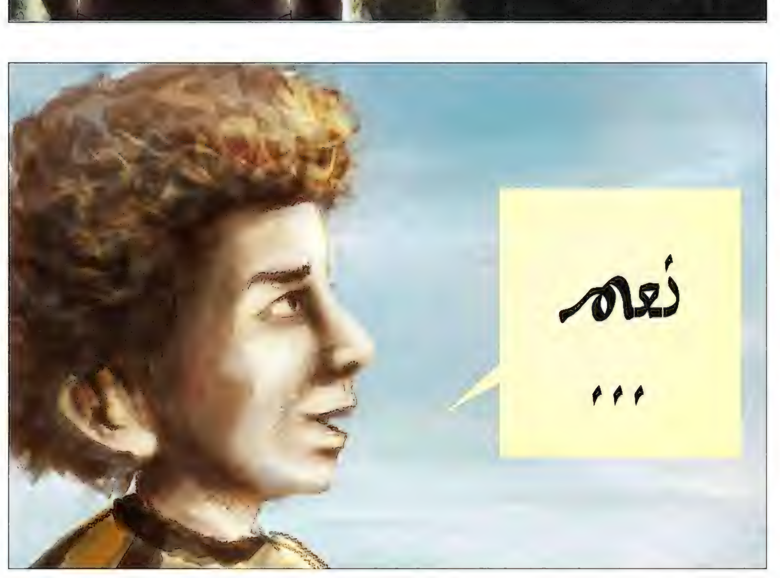

نعم
...

حُلم
عصفور

أمس، حلمتني عصفورا واقفا على الأسلاك العالية، استحم تحت الشمس وأفلي ريشي من الطفيليات.

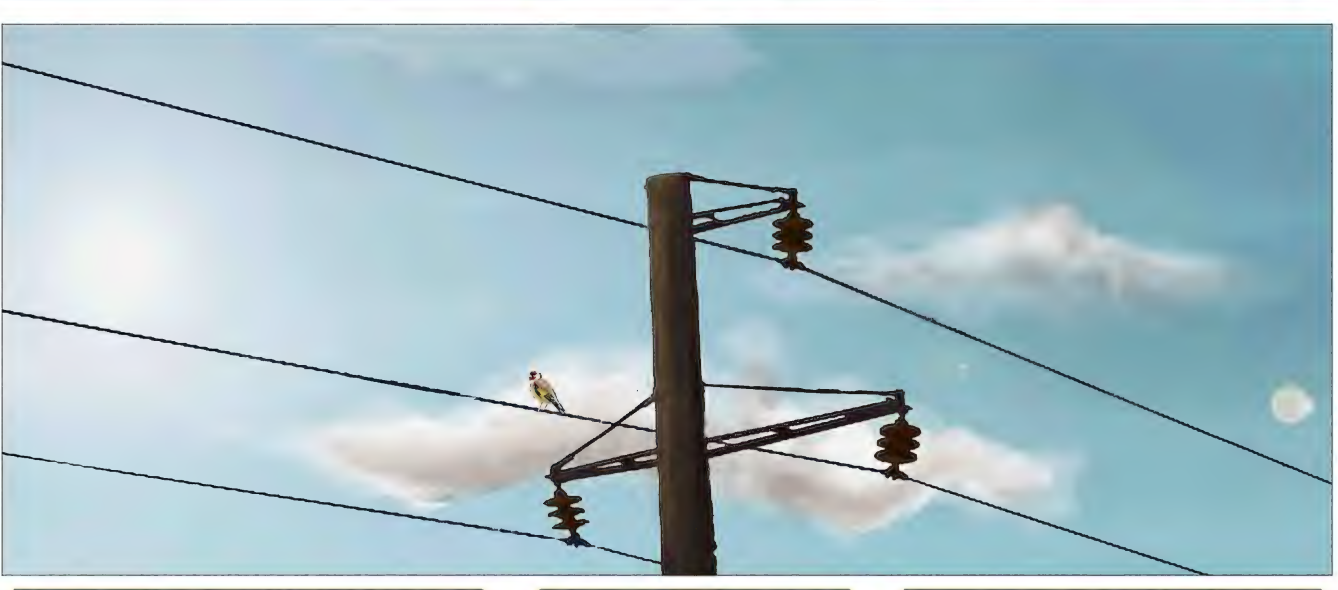

حتى إذا تزودت من الشمس بالحرارة اللازمة...

غادرت الأسلاك وحلقت في الأعالي لتصير الدنيا تحتي خريطة صغيرة..

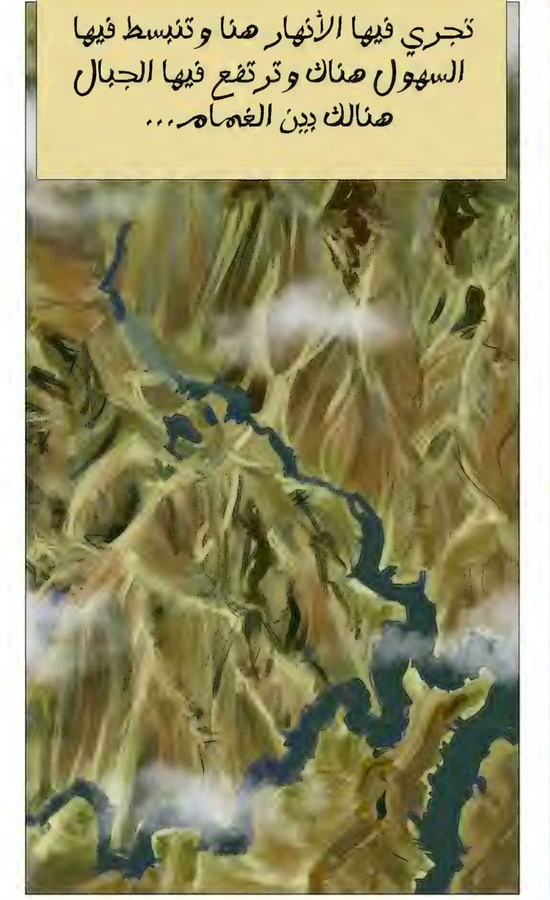
تجري فيها الأنهار هنا وتنبسط فيها السهول هناك وترتفع فيها الجبال هنالك بين الغمام...

... و أتسلى بسذاجات البشر الذين يعتقدون بأن الأرض خلقت لهم وحدهم و الماء لهم وحدهم
و الزرع لهم وحدهم..

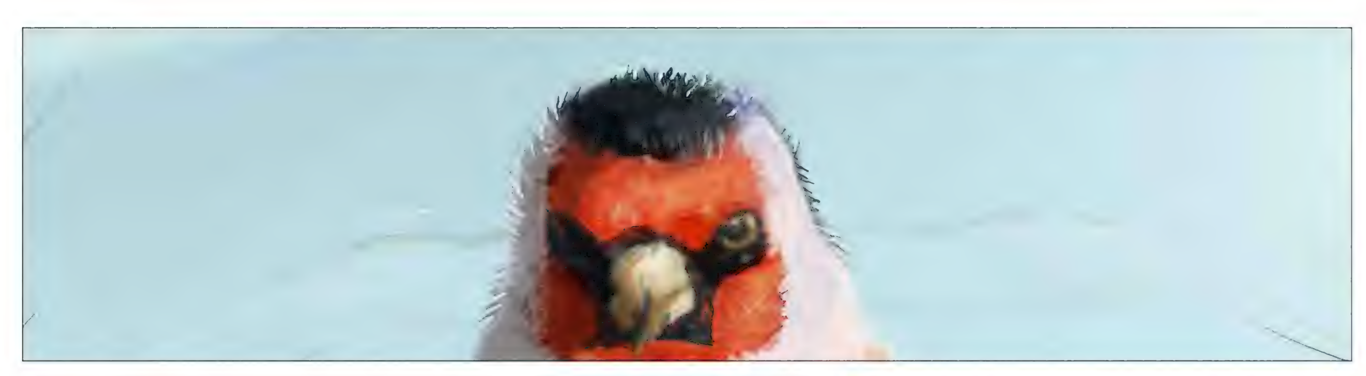

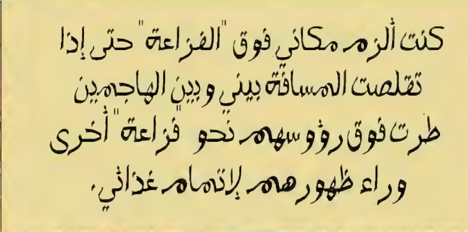
كنت ألزم مكاني فوق "الفزاعة" حتى إذا
تقلصت المسافة بيني وبين الهاجمين
طرت فوق رؤوسهم نحو "فزاعة" أخرى
وراء ظهورهم لإتمام غذائي.

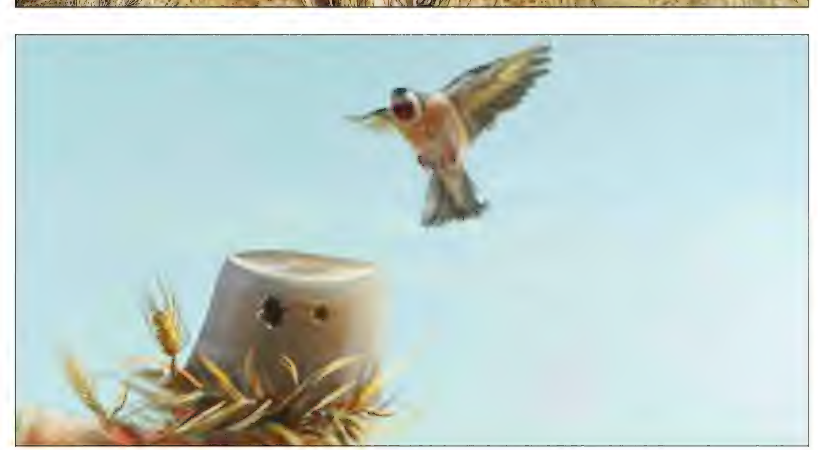

تساءلت، بمنطق العصافير:
- ترى لو كان للبشر أجنحة، لصادروا السماء
والهواء أيضا!

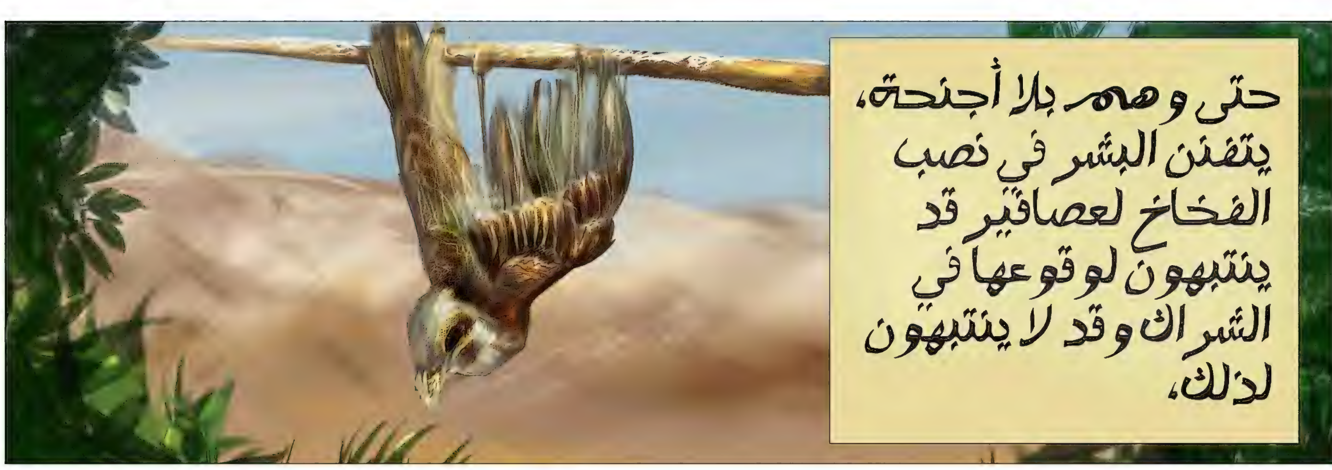
حتى وهم بلا أجنحة، يتفنن البشر في نصب الفخاخ لعصافير قد ينتبهون لوقوعها في الشراك وقد لا ينتبهون لذلك،

قد يشوون لحمها و يأكلونه وقد يعافونه ويرمونه، ومع ذلك ينصبون للعصافير الفخاخ..
ويتفاخرون بعدد الضحايا من صغار الطيور القتيلة بين أيديهم،

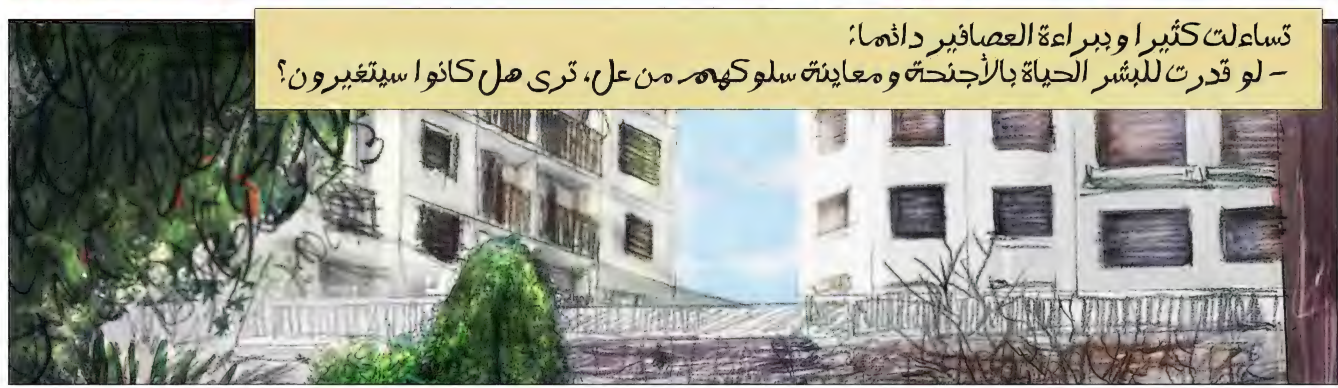
تساءلت كثيرا وبراءة العصافير دائما:
- لو قدرت للبشر الحياة بالأجنحة ومعاينة سلوكهم من عل، ترى هل كانوا سيتغيرون؟

الرؤية من فوق مختلفة تماما،
من فوق، يتراءى البشر بحجم أعواد الثقاب

يجرون وهم يعتقدون أنهم يطيرون، يتكلمون وهم يعتقدون أنهم يطربون، يضحكون وهم يعتقدون أنهم سعداء.

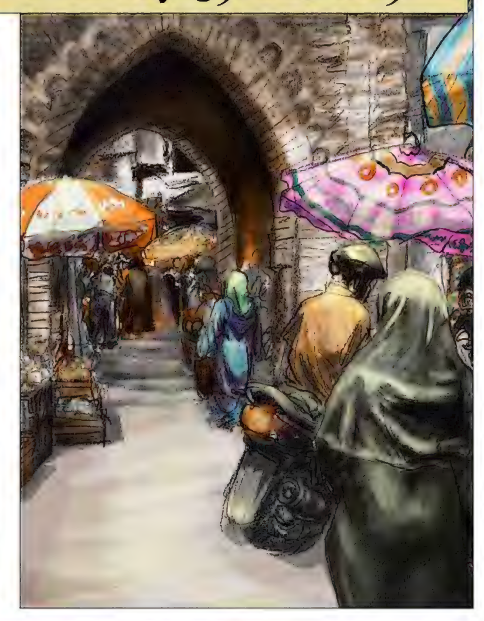

يلتصقون بالأرض وهم يعتقدون أنهم اختاروا الحياة مشيا على الأقدام...

لو قدر للبشر تجربة الحياة في الأعالي لتخلصوا من سذاجات التفكير الأرضي. فحين تصير طائرا، لا يبقى ثمة عائق يحد من انطلاقك. حين تكون طائرا فأنت بالضرورة حر طليق.

"مدرسة السماء" مختلفة تماما عن "مدرسة الأرض". مدرسة الأرض تجزيئية يقضي فيها الإنسان معظم حياته يجمع الأجزاء و التفاصيل ليفهم بعد مرور جيل من الزمن كيف تسير الأمور. أما مدرسة السماء فتنجب عصافيرها عارفة بمجرى الأمور و تبقي لهم فرصة الاستمتاع بالتفاصيل...

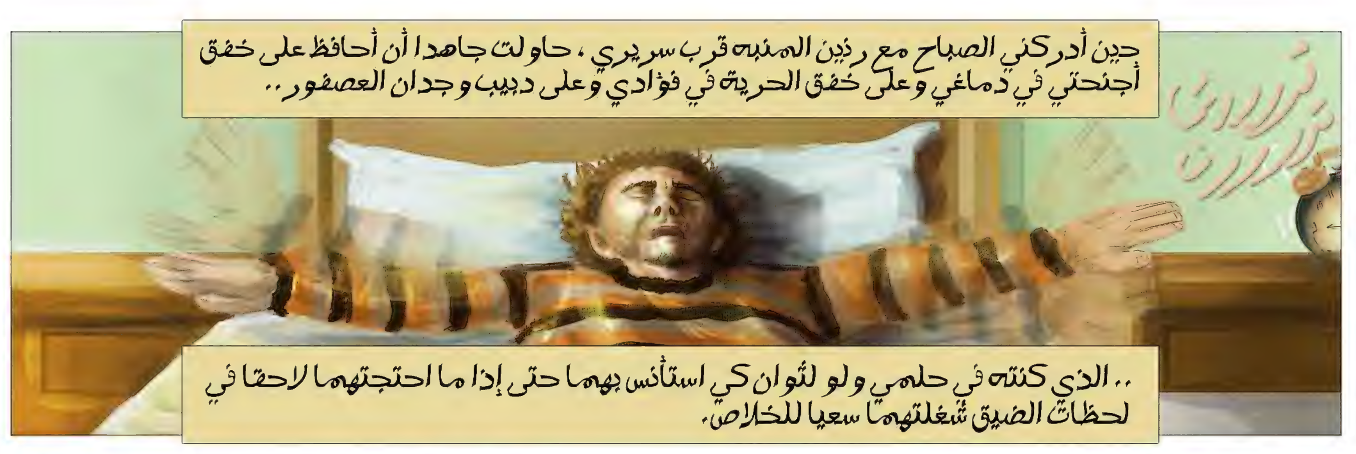
حين أدركني الصباح مع رنين المنبه قرب سريري ، حاولت جاهدا أن أحافظ على خفق
أجنحتي في دماغي وعلى خفق الحرية في فؤادي وعلى دبيب وجدان العصفور..
.. الذي كنته في حلمي ولو لثوان كي استأنس بهما حتى إذا ما احتجتهما لاحقا في
لحظات الضيق شغلتهما سعيا للخلاص.

كان الإحساس رائعا، أروع من
أجنحة الحلم ذاتها

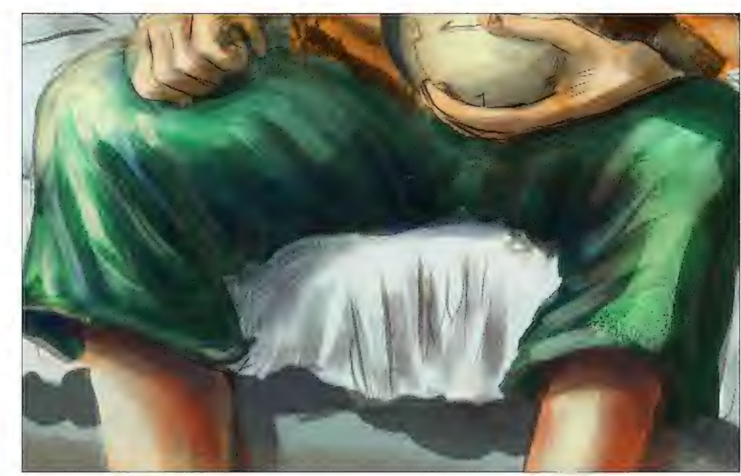

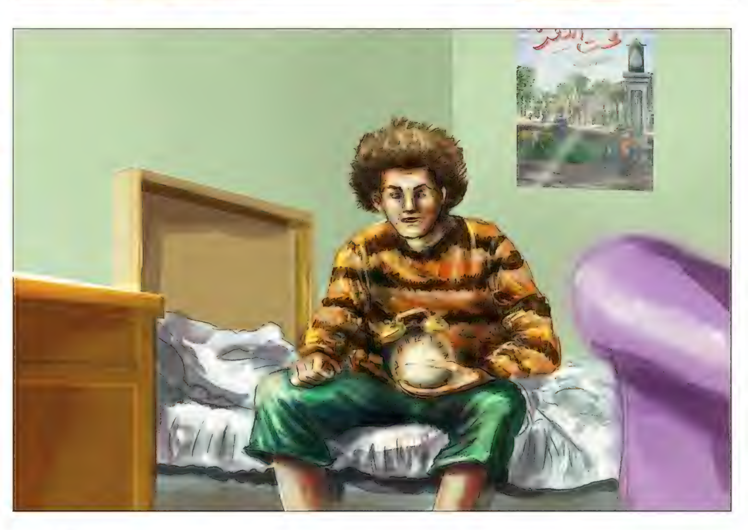

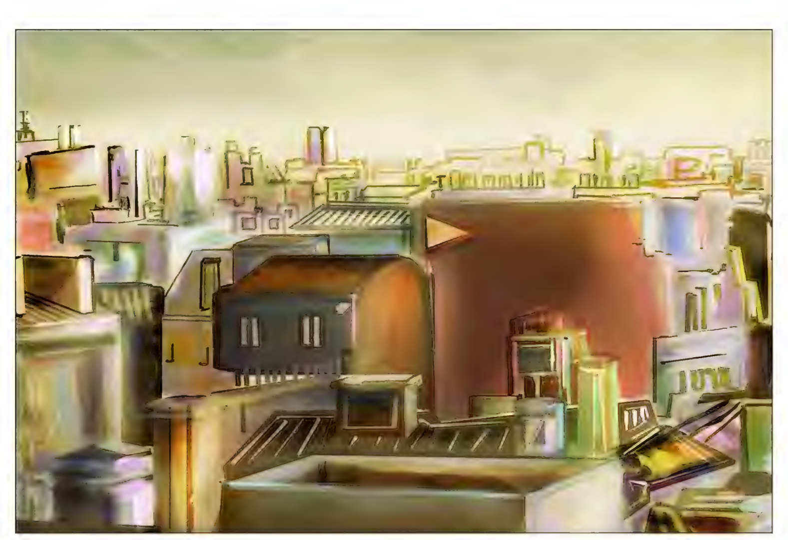

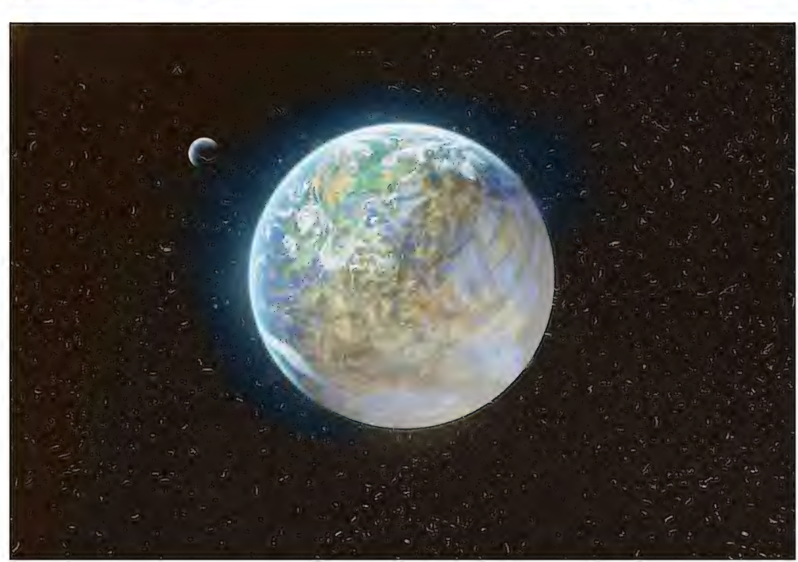

.. كمكوك أسطوري يتجه نحو كواكب أخرى، نحو شموس أخرى، نحو مجرات أخرى...

مستعد لأقدم أغلى ما أملك مقابل أن أعيش الحلم ولو لساعة من الزمن.

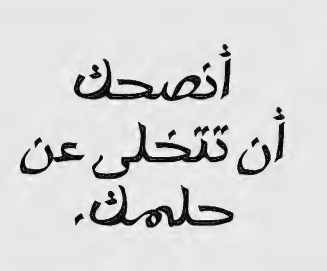

أنصحك أن تتخلى عن حلمك.

دعه يحاول. قد يفلح في الأمر.
لن يفلح حتى وإن قدم حياته فداء لهذا الحلم اللعين.

أنا أعني ما أقول. لن تقدم أكثر مما قدمت في سبيل هذا الهراء ....

وطن
العصافير
المحبطة

تذكرني كثيرا
بأخيك، عباس...

همم..

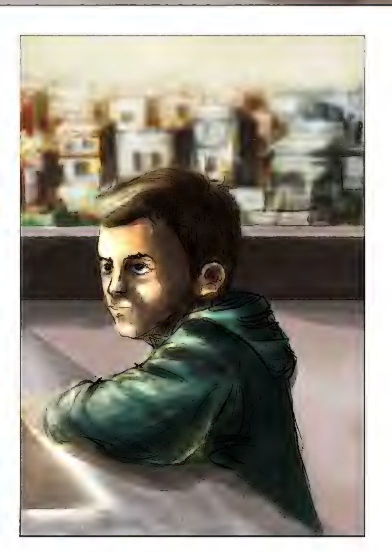

أكان عباس يعشق العصافير أيضا ؟
حتى الجنون ...

كان يقضي معظم أوقاته في مكانك هذا، وحيدا، يرقب صفاء السماء ويتابع رقص العصافير وهي تعلو وتبتعد

كان مغرما حد الهوس بالعصافير، سألني مرة عن لغة تواصلها،

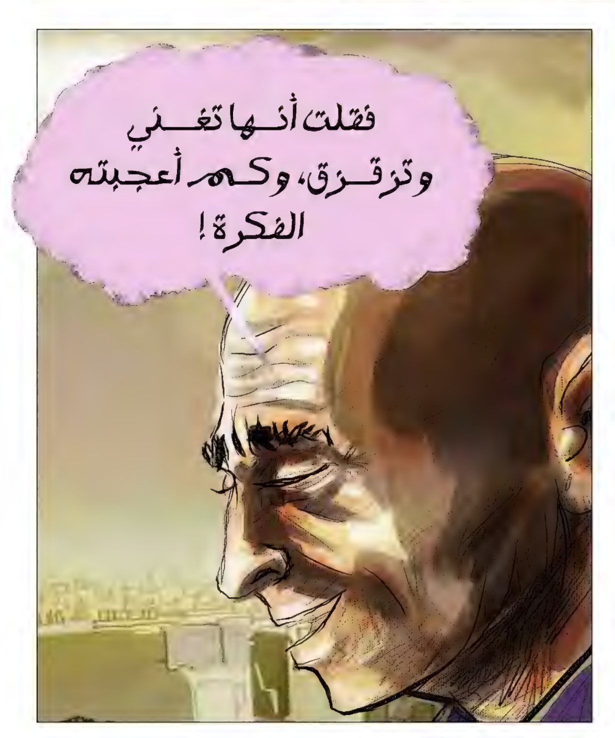
فقلت أنها تغني وتزقزق، وكم أعجبته الفكرة !

كم هو رائع، ياأبي،
الغناء عوض الكلام !...

و الغذاء ؟!

العصافير لا تعرف
مشاكل غذاء

هي تقتات في أي وقت
شاءت ومن أي حقل في
الدنيا لأن العالم يصبح
أصغر وفي المتناول حين
نطير،

ولذلك فهي تختار أماكن
إقامتها، ومنها ما يختار
الحياة فقط في الفصول
الجميلة مهاجرا من شمال
الدنيا إلى جنوبها بحثا عن
الشمس و الغذاء...

فأضطر لعقلنة الأمور..

لقد جربت قبله ما كان هو بصدد التفكير فيه. أنا أيضا كنت طفلا مثله

وحاولت الطيران من حافة هذا السطح غير مبال بحشد الجيران في الشارع تحتي، ممسكين بالملاءات من أطرافها وهم يناشدونني ألا أنتحر :

لكنني ارتميت من حيث تقف أنت الآن، إنما عوض أن أطير، سقطت عليهم بقوة حتى تمزقت الملاءات التي كانوا ينشرونها لي فارتطمت بصلابة الأرض وتكسرت ساقاي.

والنتيجة أمامك: أنا لا أطير، أنا أزحف...

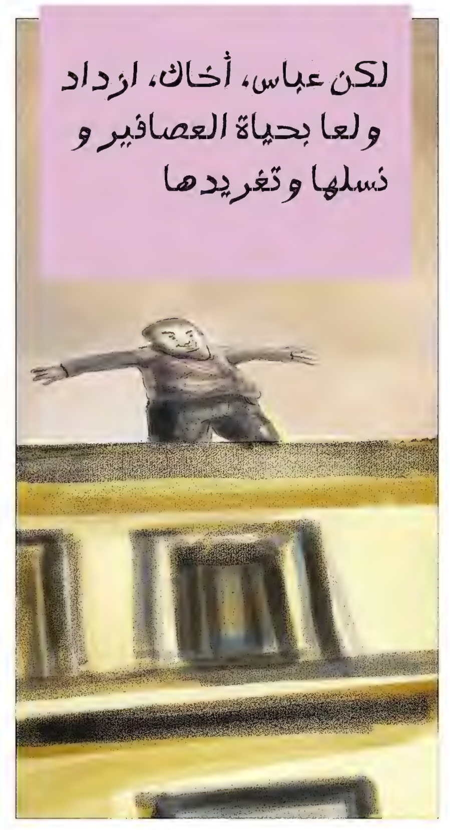
لكن عباس، أخاك، ازداد ولعا بحياة العصافير و نسلها وتغريدها

إلى أن جاء اليوم..
عباااس..

حيث احتشد الجيران لتضميد الجمجمة المشطورة للذي حاول الطيران، تهورا...

لا تخف، يا أبي، لن أفعل مثلك ولا مثل عباس...

سأطير، يا أبي، وسأنجح في ذلك.

القزم

كان صغار الأطفال، لقصر قامته، يعانقونه ويلاعبونه ويعاملونه كواحد من جيلهم. كان يلعب مع "كل جيل جديد" من أطفال الحي. الأطفال يكبرون وهو يلزم مكانه ينتظر الجيل القادم من صغار الصبية ليكبروا كي يلعب معهم ويؤجل وحدته وقلقه إلى ما بعد مغيب الشمس حيث تجلسه أمه على ركبتيها لتحدثه عن أبيه الراحل الذي كان "رجلا عظيما". عظمة كان يقرنها دوما بالقامة.

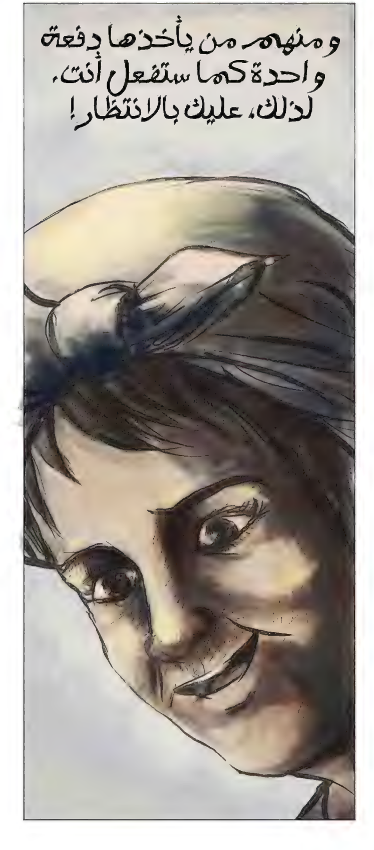

ولكنني أريد أن أكبر مثل أصحابي رويدا رويدا..

..وأعاشرهم في مغامراتهم. لا أريد أن أبقى طفلا لثلاثين عاما..

..ثم التحق بهم دون سابق إشعار...

لا تحزن، يا ولدي، لا تحزن...

وتمضي السنون وهو لازم مكانه وأجيال أصدقائه يكبرون ويرحلون...

التربية الفنية

حصة الرسم
"مقاييس جسم الإنسان"
إنتباه..اليوم سندرس مقاييس جسم الإنسان..

نسب الجسم العادي هي سبعة و نصف بحساب الكف كوحدة قياس.

أما الأقزام... فليست لهم نسب يعتد بها...

أق..أق.. أقزاام..هل أأ أنا..

هل أنا قزم؟ هل سأبقى هكذا؟! ...

بعد العودة إلى المنزل..

أمي..أريد رؤية صورة أبي العظيم الآن..نعم الآن و فوراً..

هاااع

هون عليك
يا حبيبي..

أين أبي العظيم،
يا أمي؟

العظمة ليست في
الطول والحجم. يا بني
العظمة في العطاء
والحضور!...
أين سأحضر
بهذه القامة
وماذا سأعطي
؟!...

الأجسام، يا ولدي،
هي مجرد "لباس عمل"
أو "وزرة".

الأجسام ليست غاية،
إنها وسيلة لأداء مهمة
في هذه الحياة.

الأجسام، يا ولدي،
هي مجرد "لباس عمل" أو "وزرة"، الأجسام
ليست غاية، إنها وسيلة لأداء مهمة في
هذه الحياة، كل الأحياء أجسادهم هي
مجرد "لباس عمل"، "وزرة" أما داخل اللباس
فنتساوى جميعا؛ بشرا وأسودا ودلافين
وثعابين وورودا وأشجارا...

لماذا ولدتماني
وأنتما مجرد قزمين؟
لماذا؟!...

كل الأحياء تلد وكل الأحياء تعيش حياتها و تؤبدها في نسلها. الطوال يخلدون الطول و القصار يخلدون القصر و البيض يخلدون البياض و السمر يخلدون السمرة...
ولكن لماذا اخترتموني أنا من بين كل العالمين كي تخَلُدُوا فيَ قزميتكم...

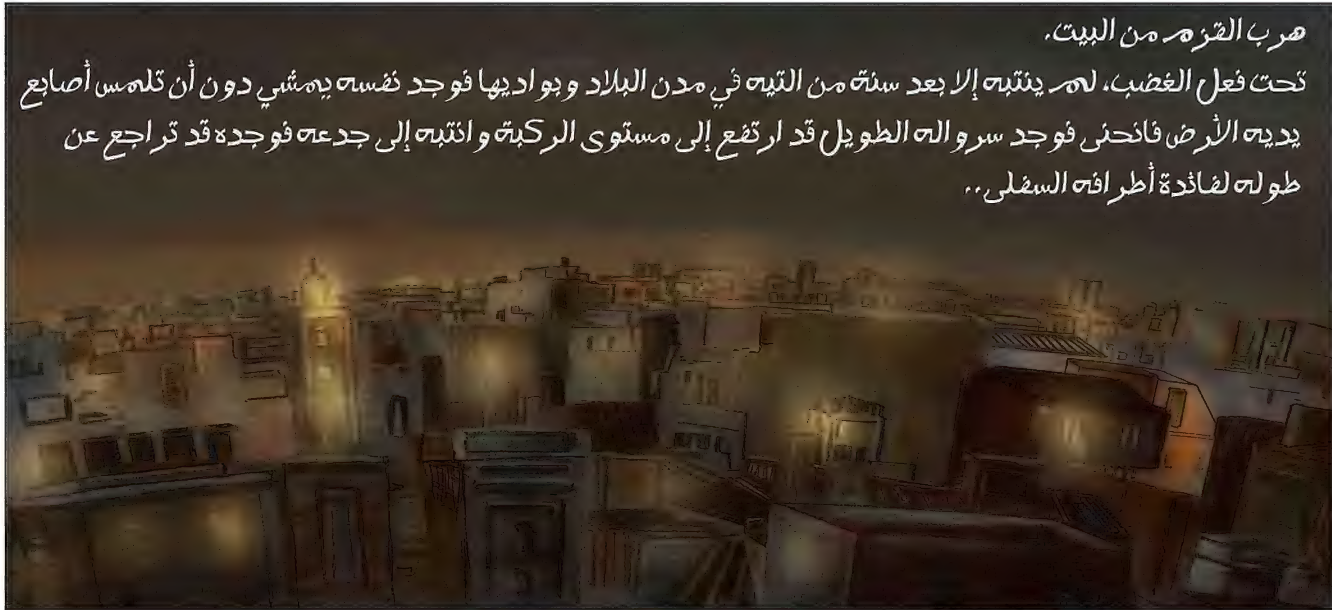
هرب القزم من البيت.
تحت فعل الغضب، لم ينتبه إلا بعد سنة من التيه في مدن البلاد و بواديها فوجد نفسه يمشي دون أن تلمس أصابع يديه الأرض فانحنى فوجد سرواله الطويل قد ارتفع إلى مستوى الركبة و انتبه إلى جدعه فوجده قد تراجع عن طوله لفائدة أطرافه السفلى..

آه ،ملابسي ضاقت علي؟؟

ذراعي؟؟.

قدماي؟؟..

أبدو مختلفاً للغاية.. لا أصدق..

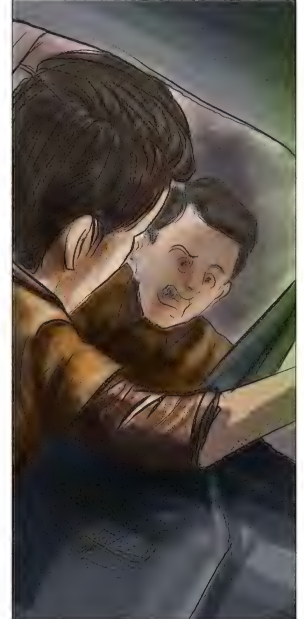

عجيب.. كيف حدث هذا؟؟ هل أنا أحلم؟

آه.. تذكرت.. إنها القاعدة التشكيلية. طولي سبعة كفوف ونصف.

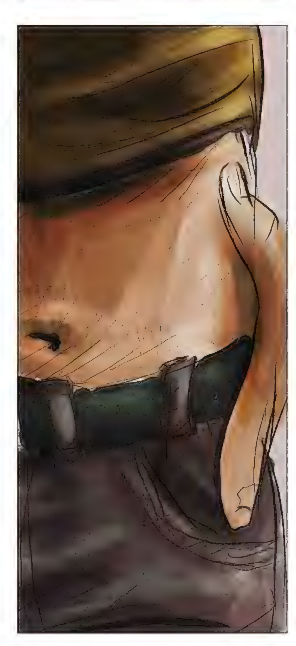

رائع.. لقد أصبحت طويلاً. مرحى..

صديقي؟.. هل أنا قزم؟؟ كيف أبدو؟

هذه فكرة غبية..

نعم.. أنا طوييل..

يااي.. أنا طوييل.

الهجرة كانت الدواء

لقد صرت عظيما!
أخيرا صِرْتُ عظيما

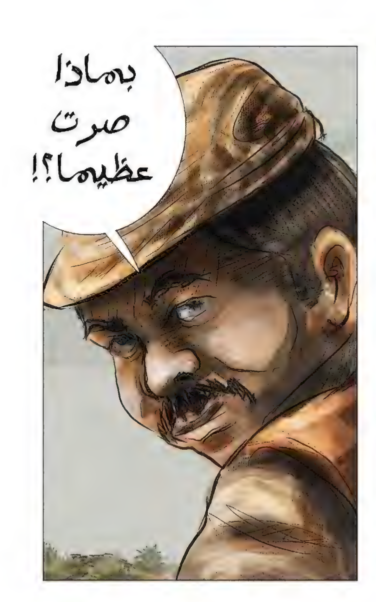
بماذا صرت عظيما؟!

بتغيري، بتطوري، بارتقائي سلم التطور...
هل وضعت يدك على كنز نفيس؟

لا

هل تزوجت سيدة ذات جاه؟
لا

هل استطعت التسلق ورئاسة قبيلة أو جمعية أو منظمة أو حزب؟...
لاء
أنت، إذن، لا زلت قزما!
كلا، كنت قزما فيما مضى. أما الآن، فقد تطورت.

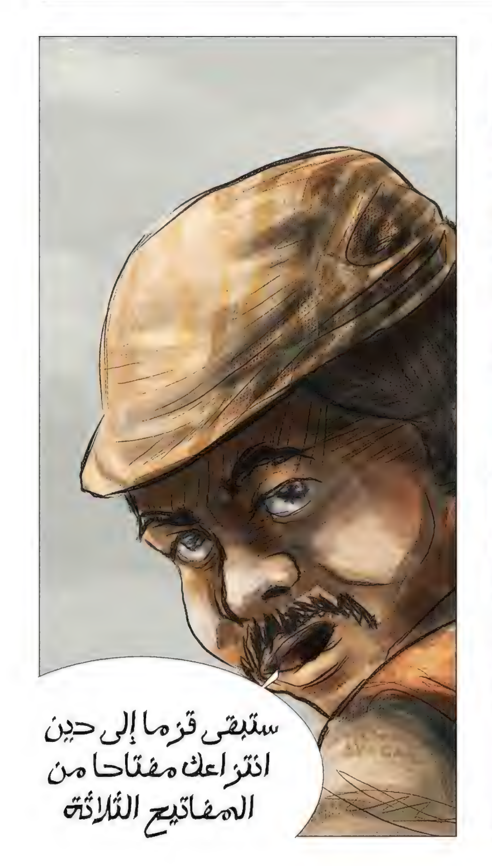
ستبقى قزما إلى حين انتزاعك مفتاحا من المفاتيح الثلاثة

ضاع الرجل بين المارة تاركا إياه يفكر مرة أخرى أن لكل سلالة أقزامها و أن الأحجام ليست معيارا للعظمة. و بدأ يفكر في هجرة ثانية يصبح بعدها "ملاكا" لا يُقارَن بالبشر و لا يتخذهم مرجعا فيقطع بذلك الطريق أمام أوهام العظمة إلى الأبد

ملاك! دفعة واحدة؟
يا حلاوة!.

يا صغيري، في هذه الدنيا ليس ثمة كائن مثالي
كامل الأوصاف. الملائكة مخلوقات فردوسية.
لن تقبل بالتخلي عن حياة النعيم الفردوسي
والنزول إلى الأرض.

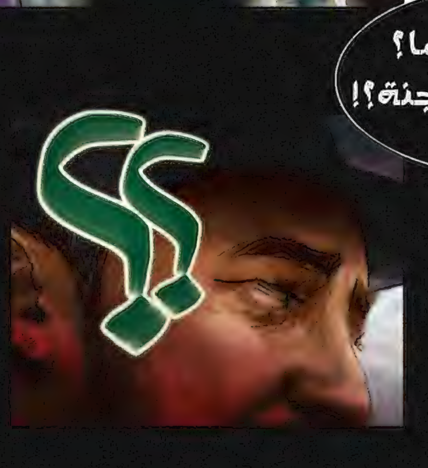

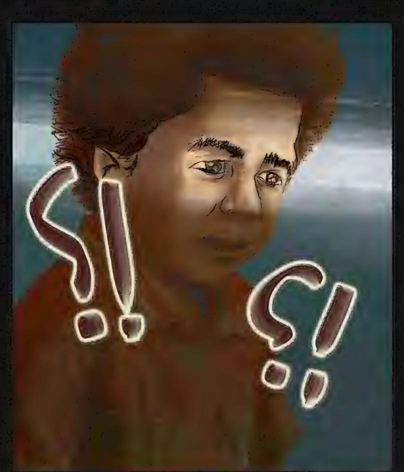

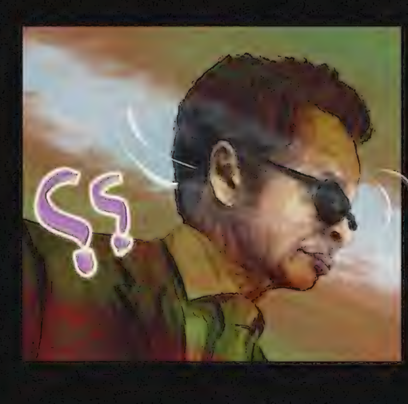

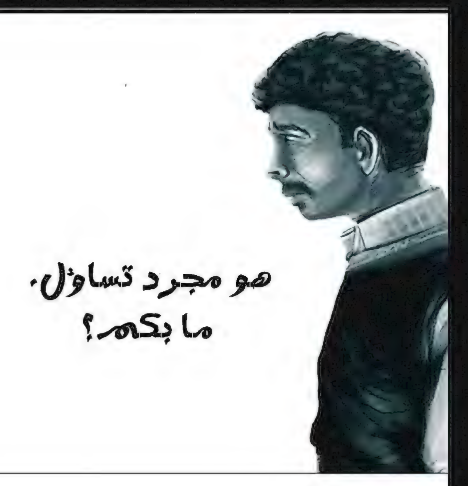

الخروج من الجنة

أستاذ!...

أنا ابحث عن معلم القسم الأول؟
هو اليوم مكلف بالحراسة ...

أريد مقابلته.

استدعاء ولي الأمر
بعد التحية

الأمر يتعلق بتهاون ابنك.
إنما، أستاذ، الحل بين أيديكم ...

العصا.

العصا هي الخلاص: "العصا خرجت من الجنة" ...

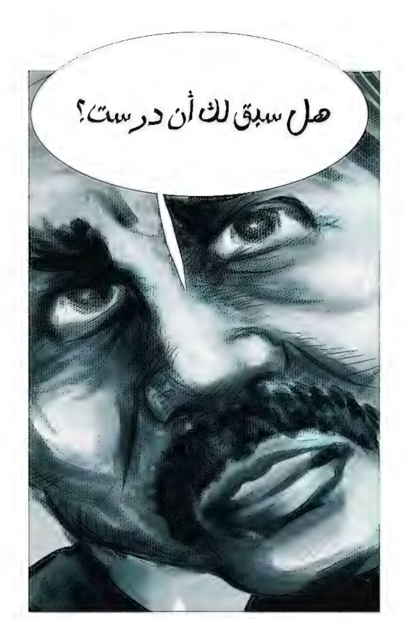
هل سبق لك أن درست؟

هي، يا سيدي، ليست آية أو حديثا كما تخيلت: "العصا خرجت من الجنة". ففي جميع الكتب السماوية لم ترد "العصا" إلا في قصص موسى عليه السلام.
وهو لم يستخدمها أبدا ضد من عصاه من البشر. لقد شغلها مرتين: أمام جبروت السحرة ثم أمام صمم البحر.

هل المعلم يخالفني الرأي فعلا؟ أم هو يعاتبني لعدم تحيته بما يليق بمقامه كمعلم درّسني في أولى سنواتي بهذه المدرسة؟...

كان نعم المعلم.. لا يقبل التسامح مع المتهاونين ...

كان يصففنا أمام السبورة ويوزع على أكفنا بالتساوي و العدل اللازمين، ضربات موجعة بقضيب يتفنن المجتهدون من التلاميذ في شحذه و تلميعه كي يتسلوا بعويلنا بين الحصة و الحصة.

لكن النتيجة تكون سريعة : فالمرة الموالية ، يرتقي الجميع إلى مستوى المسؤولية..

همم..هذا أفضل..

" العصا خرجت من الجنة ".

أنا تلميذ سابق عندكم في ذلك القسم،
الطاولة الثالثة، جهة النافذة.

أنا فقط ظننت من باب التحية و التقدير تذكيركم بفعالية الحكمة التي كنتم ترددون: "العصا خرجت من الجنة ...

حكمة! ...

إن المؤسسة بإدارتها وموظفيها وساحتها وضجيجها ... وكل شيء لازال كما كان منذ الأزل. لكن الأمور على ما يبدو قد تغيرت...

أنظر، أبي، إلى هذه الصورة على الجريدة...

أممم

البوليس يضربون الناس بالعصي.

ألا ترى في الصورة السابقة لها أن الناس هي البادية ب الاحتجاج والفوضى في الشارع ؟...

والفوضى في البيت ؟

في البيت، يا بني، ليس هناك بوليس، الأب هو الذي يفرض النظام ويحافظ عليه...
وأنت يا أبي..

أنا، يا بني، إن عاقبتكم فلكي تصبحوا شرفاء مثلي ومثل أجدادكم، ف " العصا خرجت من الجنة ".

أرجوكما

ما الذي خرج من الجنة ؟؟؟

آدم وحواء وثالثهما..

عصا..؟
..عصا؟..
ثالثهما
عصا
...

ألم أقل لكما
أن -العصا خرجت من
الجنة.-

نحن نسمي الثالث
شيطاناً..

وحدي ..وبدون مبرر لقدومي: ماذا سيقول لي معلم ابني ؟ وماذا سأقول له؟

العصا خرجت من الجنة

العصا خرجت من الجثة
العصا خرجت من الجثة

العصا
العصا
العصا
العصا
العصا
العصا
العصا

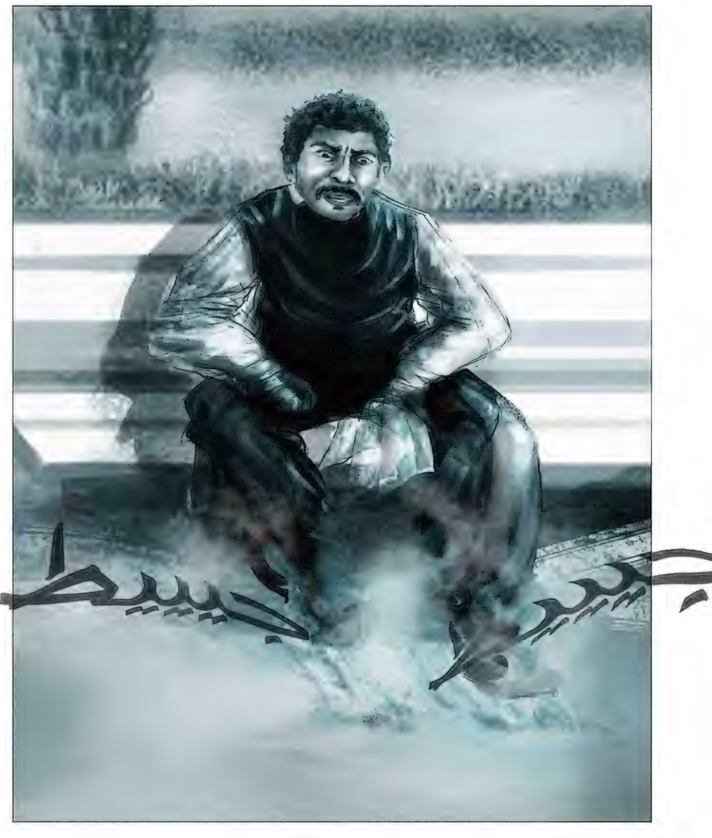

حكاياكم ملهمة، يا أصدقائي. س
أنجز كتاباً للأشرطة المرسومة يخلد
للناشئة ما دار بيننا من كلام

سيكون الكتاب كتابنا
معا، أنا أبدع النصوص
في رحم الورق

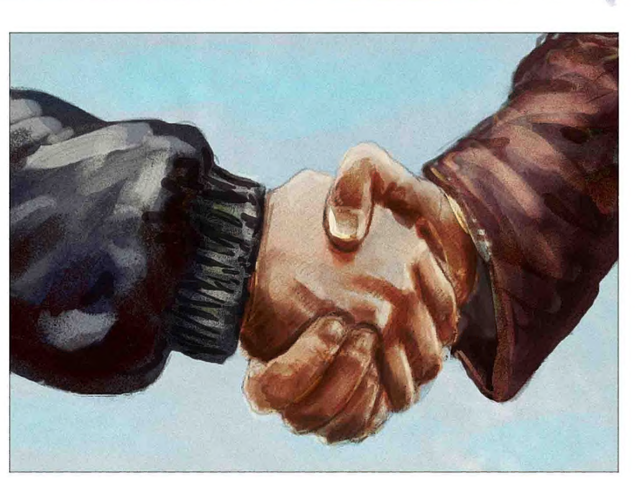

وأنت تمنحها بالصور
الحياة لتخرج إلى العالم
كما خرجنا من رحم
أمهاتنا.
وأنا على يقين بأن
مشروعنا المشترك
سيكون مثمراً.

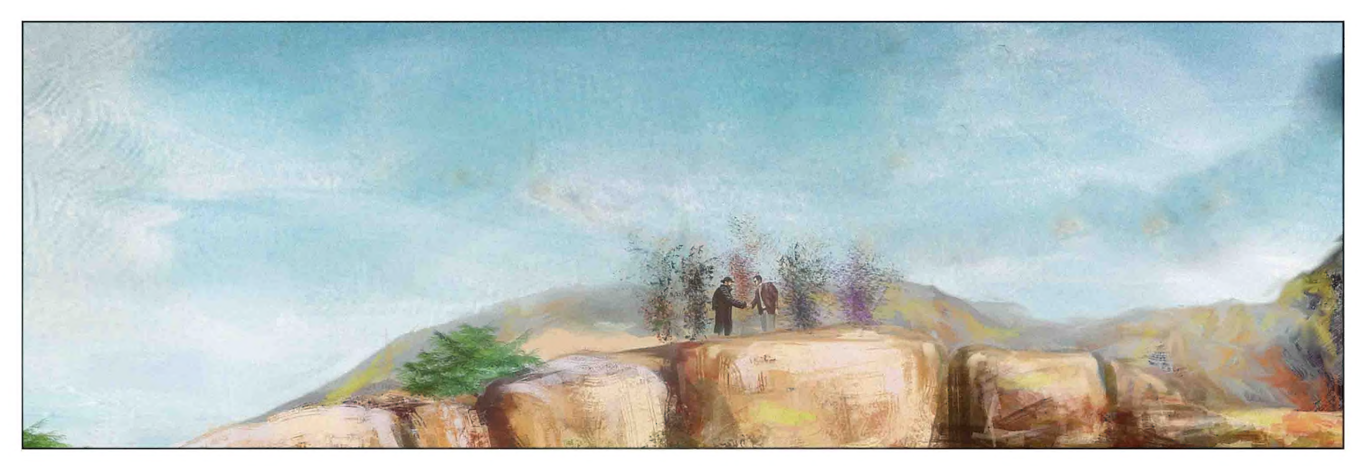

"مدرسة السماء" مختلفة تماماً عن "مدرسة الأرض". مدرسة الأرض تجزيئية يقضي فيها الإنسان معظم حياته يجمع الأجزاء والتفاصيل ليفهم بعد مرور جيل من الزمن كيف تسير الأمور. أما مدرسة السماء فتنجب عصافير عارفة بمجرى الأمور وتبقي لهم فرصة الاستمتاع بالتفاصيل..

محمد سعيد الريحاني